

من عجائب الكرماء

بقلم: **عبد الحميد عبد المقصود**
 وسرد: **اسماعيل دياب**
 التفسير: **عبدى مصطفى**



المؤسسة العربية الحديثة

الطائر والنخيل والتوتري بالقاهرة والمسلمة

و يطلع المنطقة العامة بالمعاصرة - الوطن الجديد : ١٩٩٢

4-PPF → 1,4-PPF - 1,4-PPF (C) أو الرقم المخصص

يُحْكِي أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ (حَاتِمُ الطَّائِي) دَفَنُوهُ فِي رَأْسِ
جَبَلٍ ، وَبَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ حَوْضَيْنِ مِنْ حَجَرٍ ، وَتَمَاثِيلَ
لِبْنَاتٍ مَحْلُولَاتِ الشَّعْرِ ..

وَكَانَ تَحْتَ ذَلِكَ الْجَبَلِ نَهْرٌ جَارٍ ؛ فَكَانَتْ قَوَافِلُ
التَّجَارَةِ وَوُفُودُ الْمُسَافِرِينَ يَنْزِلُونَ لِلرَّاحَةِ وَالْمَبِيتِ
وَالْتَزُودِ بِالمَاءِ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ ، فَيَسْمَعُونَ النُّوَّاحَ
وَالصُّرَاخَ طَوَالَ اللَّيْلِ مِنَ الْعِشَاءِ حَتَّى الصَّبَاحِ ، فَإِذَا
أَصْبَحُوا لَمْ يَجِدُوا أَحَدًا غَيْرَ تَمَاثِيلِ الْبَنَاتِ ..

وَذَاتَ يَوْمٍ خَرَجَ الْمَلِكُ (ذُو الْكِرَاعِ) مَلِكُ (حَمِيرِ)
مِنْ بَلَدِهِ هَاجِرًا أَهْلَهُ وَعَشِيرَتَهُ ، فَبَاتَ بِذَلِكَ الْمَكَانِ لَيْلَةً ،
فَلَمَّا سَمِعَ الصُّرَاخَ ، قَالَ مُتَعَجِّبًا :

— مَا هَذَا الْعَوِيلُ الَّذِي فَوْقَ الْجَبَلِ ؟ !

فَقَالُوا لَهُ :

— هَذَا قَبْرُ (حَاتِمِ الطَّائِي) .. إِنَّ عَلَيْهِ حَوْضَيْنِ مِنْ



حَجَرٍ وَتَمَائِيلَ بَنَاتِ مَحَلُولَاتِ الشَّعْرِ ، وَكُلَّ لَيْلَةٍ
يَسْمَعُ النَّازِلُونَ فِي هَذَا الْمَكَانِ الْعَوِيلَ وَالصَّرَاحَ ..
فَقَالَ (ذُو الْكِرَاعِ) سَاحِرًا مِنْ (حَاتِمِ الطَّائِي) :
- يَا (حَاتِمُ) نَحْنُ اللَّيْلَةَ ضَيُّوفُكَ ، وَنَحْنُ جِيَاعٌ ، بَلْ
شَدِيدُ الْجُوعِ ..

وَيُحْكِي أَنَّ الْمَلِكَ (ذَا الْكِرَاعِ) غَلَبَ عَلَيْهِ النَّوْمُ فِي
تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ كَانَ مَرْعُوبًا ، وَأَخَذَ
يَصِيحُ قَائِلًا :

- يَا عَرَبُ الْحَقُونِي وَأَدْرِكُوا نَاقَتِي ..

فَلَمَّا جَاءَ النَّاسُ عَلَى صُرَاخِهِ ، وَجَدُوا نَاقَتَهُ تَضْطَرِبُ
بِشِدَّةٍ ، فَنَحَرُوهَا وَشَوُّوا لَحْمَهَا وَأَكَلُوهُ ، وَبِالطَّبْعِ أَكَلَ
مَعَهُمْ (ذُو الْكِرَاعِ) ، فَلَمَّا انْتَهَوْا مِنْ ذَلِكَ سَأَلُوهُ عَمَّا
حَدَّثَ ، فَقَالَ لَهُمْ :

- لَقَدْ نِمْتُ اللَّيْلَةَ ، فَرَأَيْتُ (حَاتِمَ الطَّائِي) فِي الْمَنَامِ وَقَدْ
أَمْسَكَ بِيَدِهِ سَيْفًا ، وَقَالَ لِي : لَقَدْ جِئْتَنَا وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا
شَيْءٌ حَتَّى نَكْرِمَكَ بِهِ .. ثُمَّ عَقَرَ نَاقَتِي بِسَيْفِهِ ، وَقَالَ :

- لَوْ لَمْ تُسَارِعُوا بِنَحْرِهَا لَمَاتَتْ ..

وَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ قَرَّرَ (ذُو الْكِرَاعِ) مُوَاصَلَةَ سَيْرِهِ
فَرَكِبَ نَاقَةً وَاحِدَةً مِنْ أَتْبَاعِهِ ، وَأَرْكَبَهُ خَلْفَهُ ، فَلَمَّا كَانَ



مُنْتَصَفَ النَّهَارِ رَأَوْا رَاكِبًا عَلَى نَاقَةٍ يُسْرِعُ خَلْفَهُمْ ،
وَفِي يَدِهِ نَاقَةٌ أُخْرَى ، فَقَالَ لَهُ (ذُو الْكِرَاعِ) :

- مَنْ أَنْتَ ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ :

- أَنَا (عَدِيُّ بْنُ حَاتِمِ الطَّائِي) . . أَيْنَ (ذُو الْكِرَاعِ)

مَلِكُ (حَمِير) ؟

فَقَالَ (ذُو الْكِرَاعِ) :

— أَنَا (ذُو الْكِرَاعِ) مَلِكُ (حَمِيرٍ) ..

فَقَدَّمَ لَهُ (عَدِيُّ) النَّاقَةَ قَائِلًا :

— ارْكَبْ هَذِهِ النَّاقَةَ عَوِضًا عَنْ نَاقَتِكَ الَّتِي نَحَرَهَا أَبِي ..

فَقَالَ (ذُو الْكِرَاعِ) مُتَعَجِّبًا :

— وَمَنْ أَخْبَرَكَ بِذَلِكَ ؟ !

فَقَالَ (عَدِيُّ) :

— أَتَانِي أَبِي فِي الْمَنَامِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، وَقَالَ لِي يَا (عَدِيُّ)

إِنَّ (ذَا الْكِرَاعِ) مَلِكُ (حَمِيرٍ) اسْتِضَافَنِي اللَّيْلَةَ وَلَمْ

يَكُنْ عِنْدِي مَا أَقْدَمُهُ لَهُ ؛ فَنَحَرْتُ لَهُ نَاقَتَهُ ، فَأَدْرَكَهُ يَا

بَنِي بِنَاقَةٍ يَرْكَبُهَا ..

فَأَخَذَ (ذُو الْكِرَاعِ) النَّاقَةَ وَتَعَجَّبَ مِنْ كَرَمِ (حَاتِمِ

الطَّائِي) حَيًّا وَمَيِّتًا ..





وَيُحْكِي أَيْضًا عَنْ (مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ) - وَكَانَ مِنْ كِرَامِ
الْعَرَبِ - أَنَّهُ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ لِلصَّيْدِ وَالْقَنْصِ ، فَعَطِشَ
عَطَشًا شَدِيدًا ، وَلَمْ يَجِدْ مَعَ أَتْبَاعِهِ مَاءً .. وَبَيْنَمَا هُوَ
عَلَى هَذِهِ الْحَالِ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ ثَلَاثُ فُتَيَاتٍ ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ
مِنْهُنَّ تَحْمِلُ قَرْبَةَ مَاءٍ ، فَطَلَبَ مِنْهُنَّ (مَعْنِ) مَاءً لِيَشْرَبَ
فَأَعْطِيَنَّهُ ، فَلَمَّا شَرِبَ طَلَبَ مِنْ أَتْبَاعِهِ مَالًا لِيُعْطِيَهُ

لِلْفَتَيَاتِ ، فَلَمْ يَجِدْ مَعَهُمْ مَالاً ، فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ
عَشْرَةَ أَسْهُمٍ مِنْ كِنَانَةِ سَهَامِهِ ، نَصُولُهَا مَصْنُوعَةٌ مِنْ
الذَّهَبِ الْخَالِصِ .. فَقَالَتْ إِحْدَى الْفَتَيَاتِ :

- لَمْ نَسْمَعْ عَنْ رَجُلٍ بِهَذَا الْكَرَمِ سِوَى (مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ) ..
وَقَالَتْ فَتَاةٌ أُخْرَى :

- فَلْتَقُلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَّا شِعْرًا تَمْدَحُ فِيهِ كَرَمَ (مَعْنِ بْنِ
زَائِدَةَ) ..

وَرَأَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْفَتَيَاتِ الثَّلَاثَةِ تَمْدَحُ كَرَمَ ذَلِكَ
الرَّجُلِ .. وَكَانَ مِمَّا قُلْنَهُ مِنَ الشُّعْرِ :

- وَمِنْ جُودِهِ يَرْمِي الْعِدَاءَ بِأَسْهُمٍ

مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيذِ صِيغَتْ نَصُولُهَا

لِيُنْفِقَهَا الْمَجْرُوحُ عِنْدَ دَوَائِهِ

وَيَشْتَرِي الْأَكْفَانَ مِنْهَا قَتِيلُهَا



وَيَحْكِي أَيْضًا عَنْ (مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ) وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ ، أَنَّهُ
 خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ مَعَ أَتْبَاعِهِ لِلصَّيْدِ ، فَاقْتَرَبُوا مِنْ قَطِيعِ
 ظَبَاءٍ ، فَلَمَّا رَأَتْهُمْ الظَّبَاءُ تَفَرَّقَتْ ، وَرَاحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
 يَطَّارِدُ ظَبِيًّا لِيُظْفِرَ بِهِ ، وَطَارِدٌ (مَعْنِ) ظَبِيًّا ، حَتَّى بَعْدَ
 عَنْ أَتْبَاعِهِ ، فَلَمَّا ظَفَرَ بِالظَّبِيِّ رَأَى شَخْصًا مُقْبِلًا نَحْوَهُ
 مِنَ الصَّحَرَاءِ عَلَى ظَهْرِ حِمَارٍ ، فَرَكِبَ (مَعْنِ) جَوَادَهُ

وَأَسْرَعَ يَسْتَقْبِلُ ذَلِكَ الشَّخْصَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ ،
ثُمَّ قَالَ لَهُ :

— مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ :

— لَقَدْ أَتَيْتُ مِنْ أَرْضِ قُضَاعَةَ ، وَقَدْ كَانَتْ مَجْدِبَةً مِنْذُ
سَنَوَاتٍ ، لَكِنِّهَا أَخْصَبَتْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فَزُرَعْتُ خِيَارًا ،
وَقَدْ طَرَحَ الْخِيَارُ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ ، فَجَمَعْتُ مِنْهُ أَحْسَنَهُ ،
وَقَصَدْتُ الْأَمِيرَ (مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ) لِأُقَدِّمَ لَهُ هَذَا الْخِيَارَ
وَأَنَالَ مِنْهُ الْعَطَاءَ ؛ لِأَنَّهُ مَعْرُوفٌ بِكَرَمِهِ الْمَشْهُورِ ..

فَقَالَ (مَعْنُ) :

— كَمْ تَوَمَّلُ أَنْ يُعْطِيَكَ (مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ) ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ :

— أَلْفُ دِينَارٍ ..

وَقَالَ (مَعْنُ) :



— فَإِنْ قَالَ لَكَ هَذَا الْقَدْرُ كَثِيرٌ ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ :

— إِذَنْ خَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ ..

وَقَالَ (مَعْنٍ) :

— فَإِنْ قَالَ لَكَ كَثِيرٌ ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ :

— مِائَةَ دِينَارٍ ..

وَقَالَ (مَعْنٍ) :

- فَإِنْ قَالَ لَكَ كَثِيرٌ ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ :

- خَمْسِينَ دِينَارًا ..

وَقَالَ (مَعْنٍ) :

- فَإِنْ قَالَ لَكَ كَثِيرٌ ؟

فَغَضِبَ الرَّجُلُ ، وَقَالَ :

- أَدْخَلْتُ قَوَائِمَ حِمَارِي هَذَا فِي وَجْهِهِ حَتَّى أَفْقَأَ عَيْنَيْهِ ..

فَضَحِكَ (مَعْنٍ) وَانْطَلَقَ بِجَوَادِهِ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى عَسْكَرِهِ

وَأَتْبَاعِهِ ، فَدَخَلَ خِيَمَتَهُ ، وَقَالَ لِحَاجِبِهِ :

- إِذَا أَتَاكَ أَعْرَابِيٌّ يَحْمِلُ خِيَارًا عَلَى حِمَارٍ ، فَأَدْخِلْهُ فُورًا ..

وَبَعْدَ قَلِيلٍ وَصَلَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى حِمَارِهِ ، يَسْأَلُ عَنْ

الْأَمِيرِ (مَعْنٍ بِنِ زَائِدَةٍ) فَسَمَحَ لَهُ الْحَاجِبُ بِالِدُخُولِ

عَلَيْهِ فِي خِيَمَتِهِ .. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ لَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُ



هُوَ نَفْسُهُ الشَّخْصُ الَّذِي
قَابَلَهُ مِنْذُ قَلِيلٍ فِي الصَّحَرَاءِ ؛
وَذَلِكَ لِمَا رَأَى حَوْلَهُ مِنْ كَثَرَةِ الْخَدَمِ
وَالْحَشَمِ وَالْجُنْدِ وَالْأَعْوَانِ ، فَلَمَّا
سَلَّمَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ (مَعْنٍ) :

— مَا الَّذِي أَتَى بِكَ يَا أَخَا الْعَرَبِ ؟
فَقَالَ الرَّجُلُ :

- جِئْتُ لِلْأَمِيرِ بِخِيَارٍ فِي غَيْرِ أَوَانِهِ ، وَأَنَا أَطْمَعُ فِي
كَرَمِهِ وَعَطَائِهِ ..

وَقَالَ (مَعْنٍ) :

- كَمْ أَمَلْتَ أَنْ أُعْطِيكَ ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ :

- أَلْفَ دِينَارٍ ..

وَقَالَ (مَعْنٍ) :

- هَذَا كَثِيرٌ ..

فَقَالَ الرَّجُلُ :

- إِذَنْ خَمْسِمِائَةَ دِينَارٍ ..

وَقَالَ (مَعْنٍ) :

- كَثِيرٌ ..

وَوَضَعَ الرَّجُلُ يَدَهُ عَلَى الْمِيزَانِ ، وَالْأَمِيرُ (مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ)
يَسْتَكْثِرُهُ حَتَّى قَالَ الرَّجُلُ :

- ثَلَاثِينَ دِينَارًا ..



فَقَالَ (مَعْن) :

- كَثِيرٌ ..

وَقَالَ الرَّجُلُ فِي غَيْظٍ :

- وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ

الَّذِي قَابَلَنِي فِي الصَّحَرَاءِ مَشْهُومًا ،

هَلَّا أُعْطِيتَنِي أَقْلٌ مِنْ ثَلَاثِينَ دِينَارًا ؟ !

فَضَحَكَ (مَعْن) وَسَكَتَ ، وَعَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ أَنَّهُ هُوَ

نَفْسَهُ الرَّجُلُ الَّذِي قَابَلَهُ فِي الصَّحَرَاءِ ، فَقَالَ :

- يَا سَيِّدِي ، إِذَا لَمْ تُعْطِنِي الثَّلَاثِينَ دِينَارًا فَهَـهُوَ
الْحِمَارُ مَرْبُوطٌ بِالْبَابِ ، وَهَـهُوَ (مَعْنٍ) جَالِسٌ أَمَامِي ..
فَضَحَكَ (مَعْنٍ) حَتَّى اسْتَلْقَى عَلَى قَفَاهُ ، ثُمَّ اسْتَدْعَى
خَازِنَ مَالِهِ ، وَقَالَ لَهُ :

- أَعْطِ ذَلِكَ الرَّجُلَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَخَمْسِمِائَةَ دِينَارٍ ،
وِثْلَاثِمِائَةَ دِينَارٍ ، وَمِائَتَيْ دِينَارٍ ، وَمِائَةَ دِينَارٍ ، وَخَمْسِينَ
دِينَارًا ، وَثَلَاثِينَ دِينَارًا ، وَدَعْ الْحِمَارَ مَرْبُوطًا مَكَانَهُ ..
فَبُهِتَ الْأَعْرَابِيُّ مِمَّا سَمِعَ ، وَتَسَلَّمَ أَلْفَيْنِ وَمِائَةَ
وِثْمَانِينَ دِينَارًا .. وَرَحَلَ عَائِدًا إِلَى أَهْلِهِ ..

(تمت)